فيودور
ديستوفيسكى

أسامة عبد الرحمن

مقدمة

يمكن قول الكثير حول الأثر الذي تركه دوستويفسكي في العالم، ويمكن قول كلام أكثر حول الأثر العظيم الذي تركته قراءة دوستويفسكي على، أسئلة كثيرة لا زالت مطروحه بفعل قراءة رواياته العظيمة، وارتباكات سلوكية تسببت بها محاولات الدخول إلى عقول شخصياته المتطرفة التي حَفِلت بها كتبه، لكنني الاعجاب به لا يكاد يفارق ملايين أثرَّت فيهم روايات الكاتب الروسي الأشهر، وفي السطور التالية سنقرأ مجموعة مما تحفل به الكتب من كلام حول عالم النفس الروائي فيودور ميخالوفيتش دوستويفسكي.

الفرنسي أندريه جيد دوستويفسكي يقول هو واحد من أكثر مفكري القرن التاسع عشر شهرة وإثارة للجدل، يقوم باقتباس فريدريك نيتشه إذ يقول: دوستويفسكي هو الوحيد الذي أفادني في علم النفس، كان اكتشافي له يفوق أهمية اكتشاف ستاندال وبالانتقال إلى الأرجنتين يقول لنا عظيم كتّاب أمريكا اللاتينية بورخيس:إكتشاف دوستويفسكي يشبه اكتشاف الحب للمرة الأولى أو مثل اكتشاف البحر فهو علامة على لحظة هامة في رحلة الحياة.

وبما أننا قد بدأنا بالمقارنات فإليكم ما قاله أندريه جيد:هو أي دوستويفسكي لا تولستوي من يجب ذكره إلى جانب إبسن ونيتشه، وقد لا يكون دوستويفسكي في مستواهما فحسب، بل ربما كان أعظم شأنا منهما أيضًا وعنه كذلك يقول جورج ستاينر :أعظم العقول الدرامية بعد شيكسبير!.

فإلى ديستوفيسكى لنتعرف عليه أكثر.

أسامة عبد الرحمن

الباب الأول

من هو ؟ حياته الشخصية

فيودور ميخايلوفيتش دوستويفسكي (١١ نوفمبر ١٨٢١ - ٩ فبراير ١٨٨١) هو روائي وكاتب قصص قصيرة وصحفي وفيلسوف روسي وهو واحدٌ من أشهر الكُتاب والمؤلفين حول العالم رواياته تحوي فهماً عميقاً للنفس البشرية كما تقدم تحليلاً ثاقباً للحالة السياسية والاجتماعية والروحية لروسيا في القرن التاسع عشر، وتتعامل مع مجموعة متنوعة من المواضيع الفلسفية والدينية.

بدأ دوستويفسكي فى الكتابة في العشرينيّات من عُمره، وروايته الأولى المساكين نُشِرت عام ١٨٤٦ وعمره ٢٥ وأكثر أعماله شُهرة هي الإخوة كارامازوف، والجريمة والعقاب، والأبله، والشياطين وأعمالُه الكامِلة تضم ١١ رواية

طويلة،و٣ روايات قصيرة، و١٧ قصة قصيرة، وعدداً من الأعمال والمقالات الأخرى لعديدُ من النُقّاد اعتبروه أحد أعظم النفسانيين في الأدب العالمي حول العالم وهو أحد مؤسسي المذهب الوجودي حيث تُعتبر روايته القصيرة الإنسان الصرصار أولى الأعمال في هذا التيّار.

طفولته ١٨٢١ـ١٨٣٥:

ولد فيودور دوستويفسكي في ١١ نوفمبرعام ١٨٢١ بموسكو، وهو الابن الثاني لوالديه وترعرع في منزل العائلة قرب مستشفى ماريانسكي للفقراء الذي يُعتَبر حيّاً فقيراً من الطبقة الدنيا على طرف موسكو كان دوستويفسكي خلال لعبه في حديقة المستشفى يشاهد المرضى المُتألّمين، والذين يُعتَبروا أسوأ المرضى حظاً حيث أنهم من الطبقة الدنيا.

وبدأ قراءته الأدبية في عُمرٍ مُبكّر من خلال قراءة القصص الخيالية من كُتّاب روس وأجانب توفّيت والدته والدته ماريا فيودوروفنا دوستويفسكايا عام ١٨٣٧ عندما كان عُمره ١٥ سنة

نشأته وصِباه:

كان الأب يتسم بالتجبر والقسوة في معاملة الجميع حتى أبناءه، أما الأم فلم ينعم الأطفال برعايتها وطيبتها الخالصة كثيرًا فوافتها المَنيّة قبل أن يكمل بطل حلقاتنا عامه السادس عشر، ليرث عنها الصبي تلك النزعة الإيمانية التي كانت تتسم بها،ويهرب من جبروت والده بالانغماس في القراءة التي أصبحت ملاذه الوحيد بعد فقد والدته.

تلك السنوات العِجاف التي قضاها ديستوفيسكي بعد وفاة والدته شكلت صِباه ووجدانه، حبه للقراءة وملازمته للكتب فتح له نوافذ مختلفة على عالم أرحب من قسوة والده، فأحب العديد من الكُتاب الذين اعتبرهم مثله الأعلى في ذلك الوقت مثل؛ نيكولاي جوجول، إرنست هوفمان، وأونوريه دو بلزاك.

ولأن الرياح دائمًا تأتي بما لا تشتهي السفن، قرر والد ديستوفيسكي وجوب التحاقه بكلية الهندسة الحربية بسانت بطرسبرج رغم عِلمه برغبة ابنه في أن يصير كاتبًا، رضخ الشاب لرغبة والده والتحق بالفعل بكلية الهندسة حيث انهى فترة الدراسة ولكنه ترك مجال الهندسة بعد مقتل أبيه في ظروف غامضة أثناء غيابه، ليطوي بعدها صفحة سوداء من حياته مليئة بتحكمات الأب الذي لم يوّرثه سوى مرض الصرع منذ أن كان في التاسعة من عُمره.

بدأ ديستوفيسكي العمل في مجال الأدب عام ١٨٤٤، وكانت أول أعماله عبارة عن ترجمة لرواية بلزاك أو أوجيني جراندي نُشِرت تلك الترجمة في صحيفة سانت بطرسبرج آنذاك، وبعدها بعامين قام بتأليف أولى رواياته الفقراء وهو ابن الرابعة والعشرين ربيعاً

فأثارت الرواية ضجة غير مسبوقة في الوسط الأدبي، وتهافت القراء عليها، حتى إن أشهر نقاد الأدب وقتها فيساريون بلنسكي أثنى على أسلوبه وقدرته الهائلة على اختراق الطبقات الاجتماعية ورصدها بمنتهى الدقة، مُعلنًا بذلك ولادته الأدبية الآن أصبح لدينا من يخلف جوجول، في إشارة لديستوفيسكى الذى مُنِح بتلك المقولة بطاقة العبور إلى عالم الشهرة، لتتوالى بعدها إبداعاته التي أثرت الأدب الروسي فكان منها؛ المساكين، قلب ضعيف، وشجرة عيد الميلاد والزواج.

وفي نفس الوقت ترك المدرسة والتَحق بمعهد الهندسة العسكرية وبعد تَخرّجه عَمِل مُهندساً واستمتع بأسلوب حياةٍ باذِخ، وكان يُترجم كُتباً في ذلك الوقت أيضاً ليكون كدخلٍ إضافيّ له في مُنتَصف الأربعينيات كَتب روايته الأولى المساكين التي أدخلته في الأوساط الأدبية في سانت بطرسبرج حيث كان يعيش

وقد أُلقيَ القبض عليه عام ١٨٤٩ لانتمائه لرابطة بيتراشيفسكي وهي مجموعةٌ أدبية سريّة تُناقِش الكتب الممنوعة التي تنتقد النظام الحاكِم في روسيا وحُكِم عليه بالإعدام، ولكن تم تخفيف الحُكم في اللحظات الأخيرة من تنفيذه، فقضى ٤ سنوات في الأعمال الشاقّة تلاها ٦ سنوات من الخدمة العسكرية القسرية في المنفى.

في السنوات اللاحقة، عَمِل دوستويفسكي كصحفيّ، ونَشر وحرّر في العديد من المجلّات الأدبية، وعُرِفت تلك الأعمال بـ مذكرات كاتب وهي عبارة عن مجموعة مُجمّعة من مقالاته خلال أعوام ١٨٧٣-١٨٨١ وقد واجه صعوبات مالية بعد أن سافر لبلدان أوروبا الغربية ولعب القِمار ولبعض الوقت، اضطر فيودور للتسوّل من أجل المال، لكنه في نهاية المطاف أصبح واحداً من أعظم الكُتّاب الروس وأكثرهم تقديراً واحتراماً، وقد تُرجِمت كتبه لأكثر من ١٧٠ لغة وقد تأثر بعدد كبير من الكُتّاب والفلاسفة في ذلك الوقت منهم: كيركجور، وبوشكين، وجوجول، وأوجسطينوس، وشكسبير، وديكنز، وبلزاك، وليرمنتوف، وهوجو، وآلان بو، وأفلاطون، وثيربانتس، وهيرزن، وكانت، وبلنسكي، وهيجل، وشيلر، وباكونين، وساند، وهوفمان، وميتسكيفيتش وكانت كتاباته تُقرأ على نطاق واسع داخل وخارج موطنه روسيا، وأثّرت على العديد من الكُتّاب الروس وغير الروس منهم جان بول سارتر، وفريدريك نيتشه، وأنطون تشيكوف، وألكسندر سولجنيتسين.

كان والِدا دوستويفسكي والده ميخائيل أندريفيتش دوستويفسكي ووادته ماريا فيودوروفنا دوستويفسكايا جُزءاً من عائلة ليتوانية نبيلة مُتعدّدة الأعراق والمذاهب الدينيّة من مدينة بينسك، مع جذور يرجع تاريخها للقرن السادس عشر وشَمِلت عائلته أفراداً مسيحيين من الكنيسة الروسية الأرثوذكسية والكنيسة الرومانية الكاثوليكية، والكنيسة الكاثوليكية الشرقية عائلته من جهة والده كانوا رجال دين، أما من جهة أمه فكانوا تُجّاراً كان من المتوقّع أن يُصبِح والده ميخائيل كاهناً أيضاً، ولكنّه كسر قاعدة العائلة وفرّ بعيداً.

اطّلع دوستويفسكي على الأدب منذ صغره في الثالثة من عمره، كان قد طالَع الملاحم البطولية والحكايات والأساطير الخرافية، كُلّ هذا كان عبرَ مُربيتِه ألينا فرولوفنا التي أثّرت عليه كثيراً في طفولته وعندما بلغ الرابعة، قامت أمّه بتدريسه الكتاب المقدس ليتعلم من خلاله القراءة والكتابة وقد عرّفه والداه بمختلف أنواع الأدب، من ضمنهم الأدباء الروس مثل كرامزين وبوشكين وديرزهافين؛ والأدب القوطي مثل آن رادكليف؛ والأدب الرومانسي لأعمال شيلر وجوته؛ والحكايات البطولية لـ ثيربانتس ووالتر سكوت؛ وملاحم هوميروس.

وقد ذكَر دوستويفسكي ذلك، بأن والديه كانا السبب الرئيسي لتعلّقه بالأدب وذلك بسبب قصص ما قبل النوم التى كانا يقرآنها له وبعض تجارِبه في طفولَته أثّرت على كتاباتِه لاحقاً، عندما كان فى التاسعة من عمره، تعرّضت فتاة للاغتصاب من قِبَل رجلٍ مخمور، تلك الحادثة عَلِقت في ذهنه، وظهر موضوع الرجل الذي يعتدي على الفتيات في الإخوة كارامازوف والشياطين وغيرها من المؤلّفات. وعلى الرغم من أن جسد دوستويفكسي كان نحيفاً وغير قوي، فقد وصفه والداه بكونِه متهوّراً وعنيداً ووقحاً، كان والد فيودور مُتديّناً بطبعه، أرسَله لمدرسة داخليّة في فرنسا ومن ثم إلى مدرسة تشيرماك الداخلية ووُصِفَ هناك بأنه ذو وجهٍ شاحب وانطوائي وورومانسي ولدفع الرسوم المدرسية، اقترض والده المال ووسّع عمله الطبي الخاص.

حياته المهنية المبكرة:

في عام ١٨٠٩ التحق ميخائيل دوستويفسكي البالغ من العمر ٢٠ عاماً بأكاديمية موسكو الطبية الجراحية ومن هناك تم تعيينه في مستشفى موسكو، حيث عَمِل كطبيب عسكري، وفي عام ١٨١٨، صار كبير الأطبّاء وفي ١٨١٩ تزوج ماريا نيشاييفا في العام التالي، وتولى وظيفة في مستشفى ماريانسكي للفقراء

وبعد ولادة أول ابنَيه الاثنين ميخائيل وفيودور، تمت ترقيته لمساعدٍ جامعي، وهو اللقب الذي جَعله من طَبقة النُبلاء ومكّنه من شراء عقار صغير في داروفوي، وهي بلدة على بُعد ١٥٠ كم من موسكو، حيث كانوا يستجّمون في الصيف هناك كان فيودور الابن الثاني لأبويه، وكان هناك ٧ أبناء آخرين هم: ميخائيل، فارفارا أندريه، ليوبوف (ولد وتوفي عام ١٨٢٩)، فيرا، نيكولاي وألكساندرا. شعر دوستويفسكي بالخروج من مكانه بين زملائه الأرستقراطيين في مدرسة موسكو، وانعكست التجربة لاحقاً في بعض أعماله، ولا سيما رواية المراهق.

معتقداته الدينية:

كان دوستويفسكي مسيحياً أرثوذكسياً، نشأ في أسرة دينية وعرف وتعلّم الإنجيل من سن مبكرة وقد تأثّر بترجمة يوهانس هوبنر للإنجيل مئة وأربع قصص خفية في العهد القديم والجديد للأطفال وكان يحضر الكنيسة أيام الأحد بانتظام في سنّ مبكرة كذلك، ويشارك في الزيارة السنوية إلى دير سانت سيرجيوس وعلمه الشماس الذي كان في المشفى تعاليم دينه من بين ذكريات طفولته كانت الصلوات التي كان يقرأها أمام الضيوف ويقرأها من سفر أيوب عندما كان صغيراً.

وفقاً لأحد الضباط في الأكاديمية العسكرية، كان دوستويفسكي مُتمسّكاً بدينه، يتبع الممارسة الأرثوذكسية، ويقرأ بانتظام الأناجيل، ويقرأ كذلك كتاب هاينريش زكوك Die Stunden der Andacht والذي هو عبارة عن كتاب ديني خالٍ من الأوامر العقائدية ويركّز فقط على حب المسيح وتطبيق حبه في المجتمع هذا الكتاب لاحقاً أثّر في آراءه الاشتراكية المسيحية من خلال تجميعه لآراء هوفمان وأوجين سو وبلزاك وجوته ورأيه الخاص، صنع لنفسه مذهباً دينياً خاصاً على غرار الطوائف المسيحية الأخرى وبعد اعتقاله وسجنه، ركز بشكل مكثف على شخصية المسيح وعلى العهد الجديد، وهو الكتاب الوحيد المسموح به في السجن في رسالة يناير/كانون الثاني ١٨٥٤ إلى المرأة التي أرسلت له العهد الجديد، كتب دوستويفسكي:أنا كطفل شكّاك ليس لدي إيمان حتى اللحظة، وأوقن بأني سأبقى كذلك إلى القبر ولو أثبت لي شخص ما أن الحقيقة ليس المسيح، يجب أن أختار البقاء مع المسيح

خلال مكوثه في سيميبالاتينسكي، عاد إيمان دوستويفسكي لقلبه بعد تأمله المتواصل في السماء وقد وصفه صديقه رانجل بقوله:لم يذهب إلى الكنيسة في تلك الفترة، وكره الكهنة وخاصة السيبيريين منهم، لكنه كان يتحدث عن المسيح بشكل مطرد.

وقد تعرّف دوستويفسكي على الإسلام وطلب من أخيه إرسال نسخة من القرآن الكريم له من خلال زياراته إلى أوروبا الغربية ومناقشاته مع هيرزين وجريجوريف وستراخوف تعرّف على حركة البوكفنيتشيستفو ونظرية أن الكنيسة الكاثوليكية قد اعتمدت مبادئ العقلانية والقانونية والمادية والفردانية من روما القديمة ومررتها للبروتستانتية وبالتالي إلى الاشتراكية الملحدة.

علاقاتُه خارج الزواج:

أولى علاقات فيودور المعروفة كانت مع فتاة تُدعى أفدوتيا ياكوفليفنا التي التقى بها في جمعية بانايف أوائل عقد الأربعينات ١٨٤٠ وقد وصفها بأنها تلميذة مُتعلّمة مهتمة بالأدب وأنها امرأة فاتنة لعوب وقد قال في وقتٍ لاحق علاقتهما غير واضحة وغير متأكد منها ووفقاً لمذكّرات آنا عن زوجها، بأنه قد طلب الزواج منها مرّة ولكنها رفضت وكانت عشيقة دوستويفسكي الثانية هي الكاتبة بولينا سوسلوفا وكانت علاقة قصيرة ولكنّها حميمّة بلغت ذروتها في شتاء ١٨٦٢-١٨٦٣ التقت سوسلوفا به في إحدى المحاضرات التي كان يُلقيها حيث كانت محاضراته تحظى بشعبية كبيرة بين الشباب.

في ذلك الوقت، كان دوستويفسكي في الـ٤٠، وكانت هي في الـ٢١ وكانت العلاقة صعبة ومؤلمة لكلا الطرفين، خاصة دوستويفسكي حيث كان مُرهقاً وقواه مستنزفة من العمل وحالته الصحيّة والمالية سيئة وكانت سوسلوفا متعجرفة وغيورة، وكانت تُطالبه باستمرار بتطليق زوجته ماريا وبعد وفاة ماريا في عام ١٨٦٥، طلب الزواج منها لكنها رفضت وعلى عكس زوجته الثانية آنا، نادراً ما كانت سوسلوفا تقرأ كتبه، ولم تحترم أعماله، وبعد انفصالهم حرقت كُل الرسائل بينهما وقد وصفها دوستويفسكي في إحدى رسائله بأنها أنانية ومغرورة، وبعدها ذكر:ما زلت أحبها، ولكن لن أحبها أكثر من ذلك، فهي لا تستحق هذا في عام ١٨٥٨ أحبت دوستويفسكي الممثلة الهزلية أليسكاندرا إيفانوفنا شوبرت، وكانت قد انفصلت عن صديقه ستيبان يانوفسكي لتوّها لم يبادلها دوستويفسكي نفس الشعور ولكنّهما كانا صديقين جيّدين وخلال عمله في مجلة Epoch تعرّف على مارثا براون، وعلاقته معها عُرِفَت فقط من خلال الرسائل المكتوبة بين نوفمبر ١٨٦٤ ويناير ١٨٦٥ وفي عام ١٨٦٥،التقى دوستويفسكي بالناشطة النسوية والاشتراكية آنا كورفين، لم يتم معرفة طبيعة علاقتهم، وقالت زوجته آنا أنها كانت علاقة جيّدة، بينما قالت شقيقة كورفين أنها رفضته.

الباب الثانى

توجهاته السياسيّة

قرأ دوستويفسكي في شبابه تاريخ الدولة الروسية للمؤرّخ الروسي نيكولاي ميخائيلوفتش كرامزين، الذي أشادَ بمبادئ المُحافظين وباستقلال وسيادة الدولة الروسيّة، وهي الأفكار التي تبنّاها فيودور في وقتٍ لاحق وقبل اعتقاله بسبب رابطة بيتراشيفسكي التي كان أحد أعضائها عام ١٨٤٩، ذكر دوستويفسكي أنه ليس هناك فكرة أسخف من أن تكونَ الحكومة جمهورية في روسيا وفي عام ١٨٨١، ذكر دوستويفسكي أن الشعب والقيصر يجب أن يكونوا صفّاً واحداً:بالنسبة للشعب، القيصَر ليس سلطة خارجيّة، ليس سُلطة لبعض الناس بل هو قوّة وسلطة للجميع وهي قوة لتوحيد جميع الناس.

كان مُتشككاً حول إنشاء الدستورية الملكية واعتبره مفهوماً دخيلًا على الثقافة ولا علاقة له بالتاريخ الروسي ووصفه بأنه سلطة النبلاء وأن الدستورسيستعبد الناس أكثر بكل بساطة ودعى للإصلاح الاجتماعي بدلاً من ذلك، فمثلاً إزالة النظام الإقطاعي وتقليص الفروق بين طبقة الفلّاحين والطبقة الغنية.

أفكاره كانت يوتيوبية ذو نزعة دينية مسيحية نوعاً ما:إذا كان الجميع مسيحيين، سيتم حل جميع المشاكل والمسائل كما اعتقدَ أن الديمقراطية والأوليجاركية أنظمة سيئة، وكتب بخصوص فرنسا:الأوليجاركية تهتم فقط بمصلحة الأثرياء بدرجة أولى، أما الديمقراطية تهتم بمصلحة الفقراء فقط؛ ولكن مصلحة المجتمع، ومصلحة فرنسا ومستقبل فرنسا بأكمله لا أحد يُزعج نفسه بالتفكير فى هذه الأمور وأكد أن الأحزاب السياسية أدت في النهاية إلى خلافات اجتماعية وفي ستينيات القرن التاسع عشر، اكتَشَف حركة البوكفنيتشيستفو وهي حركة شبيهة بالسلافوفيليا في رفضها للثقافة الأوروبية والحركات الفلسفية المعاصرة مثل العدمية والمادية اختلفت البوكفنيتشيستفوتية عن السلافية في أنها تحاول جعل روسيا بلداً أكثر انفتاحاً وجعل روسيا دولة أوروبية سياسياً وثقافياً كما حاول بطرس الأكبر فعله.

في مقالته الغير مكتملة الاشتراكية والمسيحية زَعم دوستويفسكي أن الحضارة المرحلة الثانية من تاريخ البشرية قد تدهورت وأنها تتوجّه نحو الليبرالية بخطى متسارعة وتفقد إيمانها بالله وأكد أنه ينبغي استعادة المفهوم التقليدي للمسيحية

واعتبر أن هذه الأزمة هي نتيجة للاصطدام بين المصالح الطائفية والفردية، الناجمة عن تراجع المبادئ الدينية والأخلاقية كانت هناك ثلاث أفكار سائدة في عصره، الكاثوليكية الرومانية والبروتستانتية والأرثوذكسية الروسية بالنسبة للكاثولوكية الرومانية قال أنها واصلت التقاليد الإمبراطورية الرومانية وأصبحت بالتالي مُعادية للمسيحية حيث أن اهتمام الكنيسة بالشؤون السياسية والدنيوية أدى إلى التخلي والبعد عن فكرة المسيح وبالنسبة له، كانت الاشتراكية أحدث تجسيد للفكرة الكاثوليكية وحليفها الطبيعي وجد البروتستانتية متناقضة، وادّعى أنها ستفقد السلطة والروحانية في نهاية المطاف واعتبر أن الأرثوذكسية الروسية هي الشكل المثالي للمسيحية.

خلال الحرب الروسية التركية، أكد دوستويفسكي أن الحرب قد تكون ضرورية إذا كان من وراءها الحرية والخلاص وأعرَب عن أمله في استعادة الإمبراطورية البيزنطية المسيحية، وفي تحرير السلاف البلقان وتوحيدهم مع الإمبراطورية الروسية وهزيمة الدولة العثمانية كما يُظهِر في كتاباته سواءً كانت روايات أو مقالات معاداة للسامية، وفي أحيانٍ أخرى يكتب عن اليهود ويدافع عنهم وكثيراً ما أظهرت مُذكّراته تلك المُعاداة.

النفي إلى سيبيريا ١٨٤٩ـ١٨٥٤:

كانت رابطة بيتراشيفسكي مجموعَة مناقشة أدبيّة فكريّة تُناقش قضاياها المُعاصرة في ذلك الوقت بشكلٍ شبه سرّي وضمن المجموعة مُهندسين وأطباء وكُتّاب ومعلمين وطُلّاب ومسؤولين حكوميين وضبّاطٍ في الجيش وقد اختَلفوا في وجهات نظرهم السياسية، بيد أن مُعظَمهم كانوا مُعارضين لاستبداد القيصر والعبودية الروسية قام أعضاء المجموعة باستنكار وتنديد أفعال إيفان ليبراندي وهو مسؤول في وزارة الشؤون الدولية وقد اتُهِم دوستويفسكي بقراءة الكتب والأعمال المحظورة والمساعدة في نشرها وتعميمها، بالأخص كتاب بلنسكي رسالة إلى جوجول وكيل الحكومة والرجل الذي كتب تقريراً عن المجموعة، ذكر في بيانِه أنهم دائماً ما ينتقدون السياسة الروسيّة والدين وقد ردّ فيودور عن هذا الادّعاء بقولِه أنه كان يقرأ مقالاتٍ وحسب وهي تتحدّث عن الشخصيّة والأنانية البشرية بشكلٍ عام وليس عن السياسة في النهاية اعتُقِلَ هو وأعضاء المجموعة المُتآمرون على حدّ وصف الحكومة في ٢٣ أبريل ١٨٤٩ بناءً على طلب الكونت أ. أورلوف وأمر القيصر نيكولاي الأول خوفاً من تَبِعات ثورة ١٤ ديسبمر في روسيا وثورات الربيع الأوروبي عام ١٨٤٨وقد احتَجِزَ الأعضاء في معقل بيتر وبول التي كانت بدورها تضمّ أخطَر المُدانين.

استمرّت القضيّة محل تحقيق لأربع شهور من قبل لجنة تحقيق برئاسة القيصر مع الجنرال ايفان نابوكوف وعضو مجلس الشيوخ الكونت بافيل جاجارين والكونت فاسيلي دولجوروكوف والجنرال ياكوف روستوفتسيف ووالجنرال ليونتي دوبيلت رئيس الشرطة السرية وحكموا على أعضاء المجموعة بالإعدام بإطلاق النار، وأُخِذَ السجناء إلى سيميونوف بلاس في سان بطرسبرج لتنفيذ الحكم في ٢٣ ديسمبر ١٨٤٩ حيث انقسموا إلى مجموعات من ثلاثة أفراد، وكان دوستويفسكي الثالث في الصف الثاني وبجانبه وقف بليشيف ودوروف جاهزين للإعدام ولكن في آخر لحظة وقبل تنفيذ الحكم صدر مرسوم قيصري يقضي باستبدال الإعدام بأربعة أعوام من الأعمال الشاقة في مقاطعة اومسك بسيبيريا.

خدم فيودور أربع سنين من السجن والأعمال الشاقة في معسكر سجن كاتورجا في أومسك في سيبيريا، تليها فترة الخدمة العسكرية الإلزامية وبعد رحلة مدتها أربعة عشر يوماً وسط العواصف والثلوج، وصل السجناء إلى توبولسك المحطّة التي يرتاح فيها السُجناء، كانوا بائسين مُعدَمين، وحاول فيودور مواساتِهم، مثل إيفان ياسترزيمبسكي الذي فوجئ بطيبة دوستويفسكي وتخلى عن قراره بالانتحار.

وفي توبولسك، تلقوا الأعضاء الطعام والملابس من النساء اللاتي كُنّ هناك، فضلاً عن عدة نسخ من العهد الجديد مع ورقة نقدية من عشرة روبل داخل كل نسخة وبعد أحد عشر يوماً، وصل السجناء إلى أومسك وكان مع فيودور عضوٌ واحد من أعضاء رابطة بيتراشيفسكي وهو الشاعر سيرجي دوروف بعد سنين شرح دوستويفسكي إلى أخيه المعاناة التي تعرض لها ووصف له الثكنات العسكرية المتداعية:في الصيف، أجواء لا تطاق في الشتاء، برد لايحتمل كل الأرضيات كانت متعفّنه القذاره على الأرض يصل ارتفاعها إلى بوصه من السهل أن ينزلق الشخص ويقع كنا محزومون كالسردين في برميل لم يكن هناك مكان تذهب إليه من المغرب إلى الفجر، كان من المستحيل أن لا نتصرف كالخنازير والبراغيث، القمل، الخنافس السوداء كانت متواجده بمكيال الحبوب.

وقد كانَ فيودور يُعتَبر من أخطر المُدانين، حيث كانت يديه وقدميه مقيدتين حتى تاريخ إعتاقه ولم يسمح له إلا بقراءة كتاب العهد الجديد وبالإضافة لنوبات الصرع التي كانت تأتيه، فقد أُصيبَ كذلك بالبواسير، وفقدان الوزن، وحمّى قوية وكان رائحة المرحاض منتشرة فى أرجاء المبنى

حيث كان هناك حمامٌ واحد يستخدمه أكثر من ٢٠٠ شخص كان فيودور يُنقَل للمشفى بين الحين والآخر حيث يتمكّن من قراءة الصحف الإخبارية وقراءة روايات ديكنز وقد نال احترام معظم السجناء، واحتقار بعضهم الآخر بسبب تصريحات كراهيته للأجانب واليهود.

الخروج من السجن وزواجه الأول ١٨٥٤–١٨٦٦:

بعد إطلاق سراحه في ١٤ فبراير ١٨٥٤، أرسل فيودور لأخيه ميخائيل طالباً منه مساعدةً ماليّة، وأن يُرسِل له كتب ومؤلّفات كل من فيكو وجيزو ورانكه وهيجل وكانت وقد وصف حياته وهو يقضي حكم الأعمال الشاقة في روايته بيت الموتى التي صدرت في ١٨٦١ في مجلّة Vremya وتُعتَبر أول رواية تتناول السجون الروسية والسجناء كموضوعٍ لها لم تنتهي عقوبة فيودور عند هذا الحد فقد أُجبِر على الخدمة العسكرية والعمل في فيلق الجيش السيبيري من كتيبة الخط السابع، وقبل رحيلِه إلى سيميبالاتينسك حيث سيخدم هناك، التقى مع الجغرافي بيوتر سيميونوف والإثنوجرافي شوكان واليخانولي.

وفي نوفمبر ١٨٥٤ التقى البارون الكسندر إيجوروفيتش رانجل، وهو أحد الذين حَضروا عملية الإعدام الزائفة وقد استأجر كلاهما منزل في حديقة القوزاق خارج سيميبالاتينسك وقد وصف رانجل فيودور في تلك الفترة بأنه:بدا عابساً مُتهجّماً، وجهه الشاحب مغطّى بالنمش كان متوسّط الطول، وينظر إليّ نظرة حادّة ثاقبة بعيونه الزرقاء الرماديّة تلك، كان كما لو كان يحاول النظر في روحي واكتشاف أي نوع من الرجال كنت.

خلال خدمته في سيميبالاتينسك، أعطى فيودور دروساً خصوصيّة للعديد من الأطفال، وتواصَل مع عدد من عائلات الطبقة العليا، بما في ذلك أسرة المقدم بيليكوف الذي كان يدعوه لقراءة مقاطع من الصحف والمجلات وخلال زيارته لعائلة بيليكوف، التقى دوستويفسكي بعائلة الكسندر ايفانوفيتش إساييف وماريا دميتريفنا إيساييفا ووقع في حبّها عُيّن ألكسندر ايزايف في وظيفة جديدة في كوزنتسك وتوفّي هناك في أغسطس١٨٥٥ انتقلت ماريا وابنها الوحيد مع فيودور إلى بارناول وقد حصل بطريقة ما على تصريح له بالزواج ونشر الكتب، بيد أنه سيبقى تحت مراقبة الشرطة لبقية حياته تزوجت ماريا دوستويفسكي في سيميبالاتينسك في ٧ فبراير ١٨٥٧.

على الرغم من أنها رفضت في البداية اقتراح زواجه، وذكرت أنه لا يعني لها شيئاً، وأن وضعه المالي السيء يحول دون ذلك كانت حياتهما بشكلٍ عامٍ معاً غير سعيدة، فقد كانت تجد صعوبة في التعامل مع نوباتِه التي تزداد بمرور الوقت وفي وصفٍ لعلاقته معها، كتب فيودور:بسبب شخصيّتها الغريبة والمرتابة والرائعة، لم نكن سُعداء معاً، ولكن لم يتوقّف الحب بيننا وكلّما كنا أكثر تعاسة، كان الحب بيننا يزداد قوة وفي عام ١٨٥٩، خرج من الخدمة العسكرية بسبب تدهور صحّته، وسُمِحَ له بالعودة إلى روسيا، فعاد بدايةً إلى تفير حيثُ التقى بأخيه لأول مرة منذ ١٠ سنوات، ثم توجّه لسانت بطرسبرج.

فيودور دوستويفسكي في باريس عام ١٨٦٣:

خلال فترة اعتقاله، كتب فيودور قصة واحدة كاملة فقط، وهي بطل صغير ونُشِرت في مجلة حلم العم وقرية ستيبا نشيكوفو لم تنشر حتى عام ١٨٦٠ كما نُشِر في ذلك العام رواية بيت الموتى كذلك في مجلة Russky Mir لتليها رواية مذلون مهانون التي نُشِرت في مجلة فريميا الجديدة، المجلّة التي كانت من تحرير فيودور نفسه ومن تمويل وشراكة أخيه ميخائيل.

سافَر فيودور إلى أوروبا الغربيّة لأول مرة في ٧ يونيو ١٨٦٢، زار خلالها كولونيا، وبرلين، ودرسدن، وفيسبادن، بلجيكا، وباريس، ولندن وقد قابل ألكسندر هيرزن في لندن وزار قصر الكريستال وسافر مع نيكولاي ستراخوف في سويسرا مروراً بالعديد من مدن شمال إيطاليا بما فيها تورينو وليفورنو وفلورنسا وقد دوّن انطباعاته عن تلك الرحلة في ذكريات شتاء عن مشاعر صيف، حيث انتقد في تلك المقالة الرأسمالية والتحديث والمادية والكاثوليكية والبروتستانتية، وظهر فيها مُقدِّمات أهم مبادئ فلسفته التي خلَّدها برواياته لاحقاً.

بدءاً من أكتوبر ١٨٦٣، بدأ فيودور رحلةً أخرى إلى أوروبا الغربية وقابل حبيبته الثانية بولينا سوسلوفا في باريس، وخسر تقريباً كُل أمواله التي راهن عليها في المقامرة في فيسبادن وبادن بادن في عام ١٨٦٤ توفيت زوجته ماريا وشقيقه ميخائيل، وأصبح دوستوفيسكي الوالد القانوني الوحيد لابن زوجته، والمنفق الوحيد لعائلة شقيقه بعد فشل مجلّة Epoch التي أسّسها مع شقيقه وذلك بعد منع مجلة فريميا، ساء وضع فيودور المالي، وكان يحصل على مساعدات بسيطة من أقاربه وأصدقاءه منعاً للإفلاس الكامل.

زواجه الثاني وشهر العسل ١٨٦٦ـ١٨٧١:

أوّل جزئين من الجريمة والعقاب نُشِرا في يناير وفبراير على التوالي في ١٨٦٦ في دورية The Russian Messenger مما أضاف على الأقل ٥٠٠ مشترك جديد للدورية.

عاد فيودور إلى سان بطرسبرج في منتصف سبتمبر، وقابل رئيس التحرير فيودور ستيلوفسكي ووعده بأنه سيكمل المقامر وهي الرواية القصيرة التي كتبها عن مشاكل إدمان القمار أحد أصدقاءه اقترح عليه توظيف سكرتيرة لديه، فتواصل فيودور مع بافل أليخين وهو كاتِبٌ اختزالي أوصى بتلميذته البالغة ٢٠ عاماً آنا جريجوري سنيتكينا، وساعدته على إنهاء المقامر خلال ٢٦ يوماً من العمل آنا تُعتَبر من أهم المؤرّخين لحياة فيودور، حيث أصدرت كتابين اثنين لحياته تقول هي في مذكراتها، أن فيودور شاركها في حبكة رواية جديدة تخيليه، كما لو أنه كان يحتاج إلى نصحها في فهم نفسية الأنثى في تلك الرواية، رسام كبير في السن يتقدم لخطبة فتاة صغيرة كان أسمها آنيا سألها فيودور عما إذا كان من الممكن لفتاة صغير في السن مختلفة في الشخصية أن تقع في حب رسام أجابت آنا أن ذلك ممكن جداً

ومن ثم قال فيودور لآنا:ضعي نفسكِ في مكانها للحظة تخيلي أني أنا الرسام، أنا أعترف وأطلب منك ان تكوني زوجتي ماذا سيكون جوابك؟ أجابت آنا:سأجيب بأني أحبك وسأحبك للأبد.

في ١٥ فبراير١٨٦٧ تزوج دوستويفسكي سنيتكينا في كاتدرائية الثالوث في سانت بطرسبرج الـ٧٠٠٠ روبية التي جمعها دوستويفسكي من الجريمة والعقاب لم تُغطّي ديونهم، مما دفع آنا لبيع ممتلكاتها الثمينة في ١٤ أبريل ١٨٦٧، بدأوا شهر عسلٍ متأخر في ألمانيا بالمال الذي كسبوه من البيع أقاما في برلين، وزارا معرض جيمالديجاليري ألت مايستر في درسدن وتلك الزيارة التي كانت محلّ إلهامٍ لكتاباته وأكملا رحلتهم عبر ألمانيا وزارا فرانكفورت ودارمشتات وهايدلبرج وكارلسروه وقضيا خمسة أسابيع في بادن بادن حيث تشاجر هناك مع إيفان تورجينيف ومرة أخرى خَسِر معظم أمواله في لعب الروليت.

في سبتمبر ١٨٦٧، بدأ فيودور بالعمل على الأبله، وبعد قضاءه فترة طويلة للتخطيط بحبكة الرواية، تمكّن من كتابة أوّل ١٠٠ صفحة في ٢٣ يوماً فقط، وبدأت تُنشر في مجلة The Russian Messenger في يناير ١٨٦٨.

انتقلا بعد بادن بادن إلى جنيف وعاشوا فيها لأكثر من سنة، وعمل فيودور بجد لإستعادة ثروته في ٢٢ فبراير ١٨٦٨ ولدت إبنتهما الأولى صوفيا، ولكنها توفّيت بالالتهاب الرئوي بعد ثلاثة أشهر في ٢٢ مايو ثم غادرا جنيف متوجّهين نحو فيفي ثم إلى ميلانو قبل أن يواصلا سيرهم إلى فلورنسا، حيث أنهى رواية الأبله هناك في يناير ١٨٦٩ ونُشِرت في المجلة في فبراير في ٢٦ سبتمبر ١٨٦٩، في مدينة درسدن، رزقا بإبنتهما الثانية، التي أسموها لوبوف دوستويفسكي وقد تخلص فيودور دوستويفسكي من إدمانه للقمار بعد ولادة ابنته الثانية.

بعد أن سمع أنباء أن جماعة الثورية الاشتراكية قتلت أحد أعضائها وهي إيفان إيفانوف، في ٢١ نوفمبر ١٨٦٩، بدأ دوستويفسكي كتابة الشياطين في ١٨٧١، سافرت المجموعة بالقطار إلى برلين في النهاية عادت العائلة إلى سانت بطرسبرج في ٨ يوليو، وهو ما يمثل نهاية شهر العسل الذي كان من المقرر أن يكون ٣ شهور واستغرق أكثر من ٤ سنوات.

العودة إلى روسيا ١٨٧١ـ١٨٧٥:

بالعودة إلى روسيا إلى سانت بطرسبرج عام ١٨٧١، واجهت العائلة من جديد مشاكِلَ ماليّة فاضّطروا لبيع ممتلكاتهم المُتبقية في ذلك العام في ١٦ يوليو، وُلِدَ الابن الثالث فيودور، ثم انتقلوا بعد ذلك بفترة للسكن في شقة بقرب المعهد التكنولوجي وقد أَمِلوا فى انتهاء ديونهم عن طريق بيع بيتهم في بيسكي، إلا أن انخفاض سعر العقار في ذلك الوقت أدّى لانخفاض سعر البيت، واستمرّت المشاكل مع الدائنين واقترحت آنا جمع أموال حقوق الطبع والنشر لزوجها والتفاوض مع الدائنين لتسديد ديونها على أقساط.

قوّى دوستويفسكي صداقاته مع مايكوف وستراخوف وكوّن علاقات ومعارف جديدة، بما في ذلك سياسي الكنيسة تيرتي فيليبوف والإخوين الروائي فسيفولود والفيلسوف فلاديمير سولوفيوف وقد أثر كونستانتين بوبيدونوستسيف، المفوض السامي الإمبراطوري المستقبلي للمجمع المقدس، أثّر على تطور وتقدّم دوستويفسكي السياسي لمبادئ المحافظين وفي أوائل ١٨٧٢، قضت الأسرة عدّة أشهر في ستارايا روسا وهي مدينة سياحيّة معروفة بمياهها المعدنيّة وقد تأخر دوستوفيسكي في عمله بسبب وفاة شقيقة آنا إما بالملاريا أو التيفوس.

أنهى دوستويفسكي كتابَة الشياطين ٢٦ نوفمبر، وكانت الأسرة قد عادت إلى سانت بطرسبرج سابقاً في سبتمبر، وقد صدرت الشياطين من قِبَل شركة دوستويفسكي للنشر التي أسّسها مع زوجته كانت الطباعة تتم في شقّتهم، وكانوا لا يقبلون سوى المدفوعات النقدية المباشرة، وقد نجح عملهم هذا وباعوا حوالي ٣٠٠٠ نسخة من الرواية حيث أدارت آنا الشؤون المالية واقترح فيودور إنشاء مجلّة جديدة تُسمّى مذكرات كاتب وتتضمن مجموعة مقالات، بيد أنّهم لم يستطيعا تحمّل تكلفتها، فاتّفق فيودور مع الناشر والروائي فلاديمير ميششيرسكي على نشر المقالات في مجلة المواطِن بدءاً من يناير ١٨٧٣ مقابل ٣٠٠٠ روبل سنوياً في صيف ١٨٧٣، عادت آنا إلى ستارايا روسا مع الأطفال، وبَقي فيودور في سانت بطرسبرج يعمل على المذكرات.

الباب الثالث

أعماله

فيودور ميخايلوفيتش دوستويفسكي واحد من أشهر المؤلفين في العالم والروايات التي يكتبها هذا الكاتب روايات عميقة جدًا تحتوي على فهم عميق للنفس البشرية كما أنها تناقش موضوعات فلسفية ودينية بدأ دوستويفسكي يمتهن الكتابة بعد انتهائه من الجامعة، وبدأ أول ما بدأ بترجمة روايات من اللغة الفرنسية التي تعلّمها في المدرسة ثم بدأ بكتابة القصص القصيرة، لتليها المقالات والروايات الطويلة تضمّنت أعمال دوستويفسكي ١٥ رواية ورواية قصيرة، و١٧ قصّة قصيرة، و٥ ترجمات، والكثير من المقالات والرسائل لعلّ أبرز ما كتب دوستويفسكي هي روايات: المساكين، والإنسان الصرصار، والجريمة والعقاب، والأبله، والشياطين، والإخوة كارامازوف الكثير من

رواياتِه صدرت مُقسّمة لأجزاء نُشِرت في الصحف والمجلّات الأدبية الروسية.

في ١٢ أغسطس ١٨٤٣، عَمِل فيودور باعتباره مُهندس ملازم وعاش مع أدولف توتليبن في شقة يملكها الدكتور ريسنكامف، وهو صديق ميخائيل وصفه ريسنكامف بقوله:ليس أقل لطفاً أو أقل تهذيباً من أخيه، ولكن عندما لا يكون في مزاج جيّد كثيراً ما يُحدّق في الفراغ، وينسى الأخلاق الفاضلة، بل وأحياناً يصل لدرجة الوقاحة وفقدان وعيه بذاته في ذلك العام أنهى فيودور أولى أعماله الأدبية، وقد كانت ترجمة لرواية أوجيني غراندي من تأليف أونوريه دي بلزاك، وقد نُشِرت في عدد شهر يونيو ويوليو في مجلّة تَبِعها عددٌ من الترجمات الغير ناجحة، وصعوباته الماليّة قادته في البدء لامتهان كتابة الروايات.

أنهى فيودور دوستويفسكي روايته الأولى المساكين في مايو ١٨٤٥ بعد عامَين من نشر ترجمته الأولى لبلزاك صديقه ديمتري جريجوروفيتش، الذي كان زميله في السكن في ذلك الوقت، أخذَ النُسخة الأولية للشاعر نيكولاي نيكراسوف مدير تحرير مجلة Sovremennik، وهو بدوره عرضها على الناقد الأدبي ذو التأثير فيساريون بلنسكي وقد وصفها بلنسكي بأنها أول رواية اجتماعية روسيّة صدرت المساكين في ١٥ يناير ١٨٤٦ كجزءٍ من مجموعة دوريّة سانت بطرسبرج ولاقت نجاحاً تجارياً.

أدرك فيودور أن مهنته العسكرية ستعرض حياته الأدبية المزدهرة الآن للخطر، لذلك كتب خطاباً يطلب فيه الاستقالة من منصبه بعد فترة قصيرة، كتب روايته الثانية الشبيه ونُشِرت في مجلة Notes of the Fatherland في ٣٠ يناير الثاني ١٨٤٦، قبل أن تُنشَر في فبراير من العام نفسه وفي الوقت نفسه، تعرّف دوستويفسكي على الاشتراكية وأفكارها من خلال قراءته للمفكرين الفرنسيين مثل فورييه وكابيه وبرودون وسايمون وخلال معرفته ببلنسكي توسّع في فلسفة الأفكار الاشتراكية وكان مُنجذباً لمنطق الاشتراكية، والحس بالعدالة واهتمامها بالفقراء المُعدَمين والمحرومين وقد توتّرت علاقته مع بلنسكي بشكل متزايد خاصّة بعد إفصاحه بأنِه ملحداً مما يتعارض مع معتقدات فيودور الأرثوذكسية الروسية، ولكن في نهاية الأمر تقبّله.

لاقت رواية الشبيه بعد نشرها نقداً سلبيّاً، وكانت صحّة فيودور تزداد سوءاً ونوبات الصرع أكثر من ذي قبل، ولكنّه واصل الكتابة خلال الفترة من ١٨٤٦ إلى ١٨٤٨ أصدر عدّة قصص قصيرة نُشِرت في مجلة حوليات أرض الآباء؛ من هذه الروايات السيد بروخارشين وربة البيت وقلب ضعيف والليالي البيضاء.

تلك القصص لم تلقَ نجاحاً ومعظمها قوبلت بآراء مختلفة، مما أوقع فيودور في مشاكل ماليّة مرة أخرى، لذلك انضمّ إلى رابطة بيتيكوف الاشتراكية الطوباوية التي ساعدته على النجاة من حالته البائسة عندما انتهت الرابطة، كان فيودور قد صادق أبولون مايكوف وشقيقه فاليريان مايكوف وفي ١٨٤٦، وبتوصية من الشاعر أليكسي بليشتيف انضمّ إلى رابطة بيتراشيفسكي التي أسّسها ميخائيل بيتراشيفسكي الذي طالب بإصلاحات في المجتمع الروسي كتب ميخائيل باكونين مرة إلى ألكسندر هيرزن يصف أن المجموعة كانت:أكثر رابطة عديمة الضرر وأعضائها كانوا معارضين مُنظّمين لجميع الأهداف والمعاني الثورية واستخدم فيودور مكتبة الرابطة يومَي السبت والأحد، وشاركَ في بعض الأحيان في المناقشات التي تتم بشأن التحرر من الرقابة وإلغاء العبودية.

في ١٨٤٩ نُشِر الجزء الأول من رواية نيتوتشكا نزفا نوفنا في المجلة، وكان يُخطّط لها منذ عام ١٨٤٦، ولكن نفيه أنهى المشروع ولم يحاول إكمال الرواية بعد ذلك.

في مارس ١٨٧٤، ترك فيودور مجلة المواطِن بسبب ضغط العمل الذي واجهه، وبسبب تدخل الحكومة الروسية البيروقراطية وخلال الـ١٥ شهراً التي قضاهم في المجلّة، استُدعيَ لبلاط الحاكم مرّتان، في ١١ يونيو ١٨٧٣ للإشارة إلى الأمير مشرشكي دون إذن، والثانية في ٢٣ مارس ١٨٧٤ عرض دوستويفسكي بيع رواية جديدة لم يبدأها بعد لمجلّة الرسول الروسي ولكنّهم رفضوا وقد اقترح عليه نيكولاي نيكراسوف نشر مذكّراته في مجلة وطن الآباء، وقال أنّه سيحصل على ٢٥٠ روبل عن كل مقال، وهو أكثر بـ١٠٠ روبل مما كان سيجنيه في مجلة الرسول الروسي وهذا ما حدث بدأت صحّة فيودور فى التدهور في ذلك الوقت، ونصحه أطباء سانت بطرسبرج بالخروج من المدينة للعلاج فهو غير متوفر فيها وفي يوليو تقريباً، التقى بطبيبٍ في إمس شخّص حالته بأن لديه التهاباً في قناة التنفس بدأ رواية المراهق، وعاد إلى سانت بطرسبرج في أواخر يوليو.

اقترحت آنا قضاء الشتاء في ستارايا روسا ليرتاح فيودور هناك، على الرغم من أن الأطباء قد اقترحوا زيارة ثانية إلى إمس لأن صحته قد تحسنت سابقا هناك في ١٠ أغسطس ١٨٧٥ ولد ابنه أليكسي في ستارايا روسا.

وفي منتصف سبتمبر عادت الأسرة إلى سانت بطرسبرج أنهى روايته المراهق في أواخر عام ١٨٧٥ وكانت بعض أجزاءها نُشِرت مسبقاً في مجلة Notes of the Fatherland في يناير من نفس العام يتمحور سرد الرواية حول العلاقة بين الابن وأبيه والصراع بينهما، خاصةً الصراع الفكري، الذي يُمثِّل المعركة بين الفكر الروسي التقليدي في الأربعينيات من القرن التاسع عشر وفكر العدم الصاعد بين الشباب الروسي في الستينيات وهو الموضوع الذي تكرّر في أعمال دوستويفسكي اللاحقة.

من رواياته :

ذكريات من منزل الأموات – الجريمة والعقاب – الأبله جزءان – حلم رجل مضحك – الليالى البيضاء – حلم العم – الأخوة الأعدء – الشبيه – يوميات كاتب —– نيتوتشكانيزفانوفا - رسائل من تحت الأرض – فى سردابى – مذكرات قبو –الفقراء – الزوج الأبدى – مذلون مهانون – المراهق – - المقامر- الشياطين ....

كما أن له ٢٢١ مقالةً في يوميّاته باستثناء القصص القصيرة في غضون فترتين، في العادة تُنشَر المختارات في مجلَّدين، المجلَّد الأوَّل يُغطِّي كتاباته من ١٨٧٣ وحتى ١٨٧٦، والمجلَّد الثاني يُغطِّي كتاباته من ١٨٧٧ وحتى ١٨٨١.

أفضل قصص قصيرة من تأليفه:

١- قصة اللص الصادق : هذه القصة نشرت في عام ١٩٤٨ وتروي الراوي الذي ينهي المعاملات مع أحد المتاجر وفي يوم من الأيام يسرق لص المعطف الخاص بالراوي ويحاول القبض على اللص ولكن محاولاته باءت بالفشل ويظل يتحدث الراوي عن هذه الواقعة مراراً وتكراراً وفي أحدى الأيام يخبر أستافي وهو بطل الرواية عن لص شريف صادفه ذات مرة.

وتكمل هذه الرواية لذكريات اللص مع أستافي وكان اللص يعيش ضنك شديد وتمزق معطفه وكان يريد شرب الكحول ولكنه لم يملك النقود فدفع أستافي النقود له حتى يشرب الكحول ومنذ هذا للحظة اتبع اللص أستافي وذهب معه إلى شقته وعاش معه وكان أستافي كل يوم يعمل ويحضر الكحول لهذا اللص الذي يعيش معه.

وفي يوم كان أستافي يعمل ترزي فصمم بنطلون لرجل غني ولكن الرجل لم يأخذ هذا البنطلون فوقع أستافي في ضائقة مالية وبحث عن البنطلون في المنزل ولكن اللص الذي كان يعيش معه هو الذي سرقه ولم يعترف بذلك إلا في نهاية القصة.

٢- قصة زوجة رجل آخر : هذه القصة قصة قصيرة نشرت في عام ١٨٤٨م من تأليف دوستويفسكي وهي في الأصل قصتين منفصلتين قصة تسمى زوجة رجل آخر والقصة الأخرى تسمى رجل غيور.

وفي عام ١٩٥٩ جمع دوستويفسكي القصتين معًا بعنوان زوجة رجل آخر تحت السرير ولم يغير دوستويفسكي في أحداث قصة زوجة رجل آخر ولكن غير بعض السطور في قصة رجل غيور.

٣- قصة شجرة عيد الميلاد : وهذه إحدى قصص دوستويفسكي نشرت عام ١٨٤٨ وتروى أحداث هذه القصة أن الراوي حضر حفل عيد زواج وكانت تشبه حفلة عيد الميلاد كأنها معدة للأطفال فقط وكان الهدف من هذه الحفلة إجراء محادثة مع أفراد أغنياء لهم تأثير في المجتمع لأن من الضيوف الذين حضروا الحفلة مالك الأراضي البدين وبدأ الأطفال في تلقي هدايا عيد الميلاد وكانت كل هدية وفقًا لمستواهم الاجتماعي.

وهرب أبن المربية إلى غرفة مجاورة وظل يلعب مع الأطفال الأغنياء الذين معهم ألعاب جديدة وبعد أن رفض أطفال الأغنياء اللعب معه هرب هذا الطفل وتعرف على طفلة صغيرة طلبت منه أن يحميها وظل معها وبعد خمس سنوات في نهاية القصة تزوج هذا الشاب من تلك الفتاة.

٤- قصة السيد بروخارشين : هذه الرواية تحكي قصة رجل يسمى السيد بروخارشين نشرت في عام ١٨٤٦ وتحكي عن الحياة المريرة التي يعيشها السيد بروخارشين فهو يضطر إلى توفير الطعام وفي بيته لا يجد ما ينام عليه سوى فراش مفروش على الأرض وبعد عدة سنوات يكتشف الجيران أن هذا الرجل كان في الواقع رجل غني ويخبئ أمواله تحت هذا الفراش ويعيش بهذه الطريقة.

٥- قصة الليالي البيضاء: هي من القصص القصيرة التي نشرت في عام ١٩٤٨ للكاتب دوستويفسكي وهذه القصة تحكي حكاية الراوي الذي يعيش وحيداً في المدينة ويحب صاحب القصة فتاة لكن هذه الفتاة تقع في حب رجل آخر ولكنهم دخلوا في علاقة صداقة ودية وطلبت منه محبوبته أن يساعدها في كتابة رسائل غرامية إلى الرجل الذي تحبه وكانت لا تعرف أن الراوي يحبها.

وقد صرح لها الراوي أنه يحبها ولكنها شعرت بالارتباك وطلبت منه أن يظلا أصدقاء مما جعل الراوي يشعر أكثر بالوحدة وفي أحد الليالي كانا يسيران معًا فقابلت حبيبها فتركت الراوي وأعطته قبلة وذهبت مع حبيبها الذي تراسله وتركت الراوي وحيداً.

٦- قصة التمساح : هي من قصصه نشرت في عام ١٩٥٦ وهذه القصة تروي يفان ماتيفيتش وزوجته إلينا إيفانوفا مع الراوي عندما أرادا أن يزوروا تمساح يملكه رجل أعمال ألماني وقام ماتيفيتش بمضايقة التمساح فابتلعه التمساح حياً دون أن يؤذيه وشعر ماتيفيتش بالراحة داخل بطن التمساح وبدأ الراوي يتفاوض مع صاحب التمساح على شرائه ولكن صاحب التمساح طلب رقم كبير لم يقدر عليه الراوي فظل ماتيفيتش في بطن التمساح.

٧- قصة بوبوك : هي أحدى القصص القصيرة التي نشرت في عام ١٨٧٣ ويمكن أن تترجم هذه القصة القصيرة إلى حبة الفاصوليا الصغيرة والقصة عبارة عن مقتطفات من حياة كاتب مكتئب وفي يوم من الأيام بعد ما حضر جنازة أحد معارفة ظل في المقبرة يتأمل وفجأة سمع أصوات الموتى وكلامهم حول الفضائح السياسية ويفهم الراوي من ذلك أن الميتين بينهم تواصل وهم في القبور ويتسلى الميتون بأخبار الآخرين وبعد ذلك يعطس الراوي وهي عطسة يصمت بعدها الموتى فيعرف الراوي أن حتى الموتى يوجد عندهم فساد وانحلال (هذا ما يراه ديستوفيسكى لكن مانراه نحن المسلمون ان الآخرة دار حساب لا دار عمل).

٨- قصة بذيئة : هي أحد قصص دوستويفسكي نشرت في عام ١٨٦٢ وتشتهر هذه القصة بالهجائية والتهكم وتروي عن مغامرات طائشة لخادم والهدف من هذه القصة هو إظهار روح الإصلاح التي عمت في روسيا في السنوات الأولى وتبدأ القصة عندما كان الراوي يشرب الكحول مع أثنين من زملائه ويعبر أثناء سكره عن رغبته في اعتناق فلسفة معاملة الطبقة الفقيرة بحسن ولطف وعندما بالغ الراوي في الشرب في الحفلة وضع نفسه في موقف سيء مع مرؤوسيه.

٩- قصة حلم رجل مضحك : هذه الرواية أحد روايات دوستويفسكي وكتبت في عام ١٨٧٧ وتروي عن رجل يتجول في شوارع سانت بطرسبرج ويتأمل كيف كان شخص مثير للضحك وفي النهاية أدرك أنه غير مهتم بأي شيء في الحياة وهذا الذي أدى به إلى فكرة الانتحار.

ويحلم صاحب هذه القصة أنه أشترى مسدس في الأشهر الماضية وقام بإطلاق النار على رأسه وكان ذلك في ليلة كئيبة والراوي ينظر إلى السماء ورأى نجمة منفردة وبعد فترة من الزمن تأتي إليه فتاة صغيرة وهي تجري ولكنه تركها وذهب إلى بيته وعندما نام وجد في حلمه الكثير من الحقائق والمسائل المتعلقة بالإنسان التي غيرت تفكيره من فكرة الانتحار إلى تقديم المساعدات للإنسان.

١٠- قصة الصبي الشحاذ عند شجرة عيد الميلاد : هذه القصة نشرت في عام ١٨٧٦وتجري أحداثها في أعياد الميلاد حيث أن طفل صغير شحات يستيقظ ليلاً في البرد وعندما يصل إلى أمه يجدها جثة ويجد نفسه في بلدة غير مألوفة لديه وظل يمشي في المدينة ومر بأطفال يلعبون ويمرحون وشاهد فتاة أعجب بها وشاهدها بعد ذلك في حفلة أخرى ودخل وراء هذه الفتاة الحفلة ولكن الناس أصاحوا فيه بالخروج وإذا بامرأة تضع في يديه عملة معدنية ويبدأ الصبي المشي في الشوارع ويشاهد اللعب في محلات لعب الأطفال وفجأة يسمع صوت أمه تناديه ليشاهد شجرة عيد الميلاد.

١١- الشبيه أو القرين : رواية قصيرة من تأليف فيودور دوستويفسكي كتبها بين عامي ١٨٤٥ و١٨٤٦، ونُشِرت للمرة الأولى في ٣٠ يناير من عام ١٨٤٦ في مجلة مذكرات الوطن ومن ثمَّ نُشِرت مرة أخرى منفصلة في ١٨٦٦ بعد أنَّ نقَّح فيها دوستويفسكي وتُعدُّ هذه الرواية أكثر أعمال دوستويفسكي تأثراً بنيكولاي جوجول، وعنوانها الفرعي قصيدة من بطرسبورج مقتبسه من رواية جوجول النفوس الميتة، ويرى فلاديمير نابوكوف أنَّ هذه الرواية هي محاكاة لقصة المعطف من تأليف جوجول

بينما ذهب بعض النقاد إلى أنَّ دوستويفسكي كتب هذه الرواية في مقابل قصة جوجول الأخرى الأنف يُنظَر إلى هذه الرواية كنسخة نفسية من أعماله الأخلاقيَّة-النفسية اللاحقة، وتبرز فيها معالم الفكر الوجودي، ويُركِّز النُّقاد في تناولهم الرواية على قضيَّة البحث عن الهوية، ويكتب أحد النُّقاد أن الموضوع الرئيسي للرواية هو التأثير المُهلك للإرادة الإنسانية وبحثها المستمر عن الحرية المطلقة، بينما يبتعد بعض النُّقاد عن هذا التفسير الفردي ويرون أنَّ انكسار هويَّة الشخصية الرئيسية حدث بفعل البيروقراطية وأوضاع المجتمع الرديئة التي يعيش فيها.

تركِّز الرواية على ازدواج الشخصية والصراع النفسي الداخلي للشخصية الرئيسية جاكوب بيتروفيتش جوليادكين ويعمل جوليادكين موظفاً لدى الحكومة، ويصادف مراراً شخصاً يُشابهه تماماً في المظهر،لكنَّه يحمل شخصيَّة مناقضة للتي لديه، جوليادكين ضعيف الشخصية أمَّا قرينه فهو واثق وعدواني ومنفتح رتبة جوليادكين في مجتمعه البيروقراطي منخفضة مقارنة بنبلاء طبقته، وفي الفترة الأخيرة واجه جوليادكين مشاكل نفسية، فبدأ باستشارة طبيب نفسي يخاف الطبيب على جوليادكين أن يُجنَّ، ويُخبره أن نفوره من حياته الاجتماعية هو تصرُّف خطير للغاية.

ويقترح عليه أن يمضي مزيداً من الوقت مع رفقائه يُقرِّر جوليادكين أن يذهب إلى حفلة ميلاد ابنة مدير مكتبه، وبعد سلسلة من المواقف الاجتماعية الفاشلة، يخرج جوليادكين من الحفلة ويعود أدراجه إلى بيته، وفي الطريق أثناء عاصفة ثلجية يلتقي بقرينه لأوَّل مرة وبقيَّة الرواية تتمحور حول العلاقة بين القرينين، في البداية كانت العلاقة بين السيد جوليادكين (الشخصية الرئيسية) وجوليادكين (القرين) علاقة صداقة ودودة، ولكنَّ جوليادكين الابن يستمرُّ في التدخُّل في شئون السيد جوليادكين في محاولة للسيطرة على حياته، وهكذا تتدهور العلاقة بينهما ويصيرا عدوين لذوذين يعمل القرين في نفس وظيفة ومكان عمل الشخصيَّة الرئيسية، وبسبب مهارة جوليادكين الابن الاجتماعية وقوُّة شخصيته يصير محبوباً بين زملائه، على عكس السيد جوليادكين، وفي نهاية الرواية يبدأ السيد جوليادكين في رؤية مزيد من النسخ المطابقة له في الشكل، ويصاب بخلل ذهني نفسي، وفي آخر الرواية يُلقَى في مصحَّة نفسية تحت رعاية طبيبه السابق.

النقد:

لم تكن دائماً جميع ردود الفعل لأعمال دوستويفسكي إيجابية، عدد من النُقّاد مثل نيكولاي دوبروليوبوف وإيفان بونين وفلاديمير نابوكوف ينظرون لأعماله على أنها نفسية وفلسفية بشكل كبير جداً بدلاً من كونها فنيّة أدبية ووجد آخرون أن القصّة بذاتها مفكّكة وغير منظّمة وفوضوية واعترض آخرون مثل تورجينيف على أنها أعمال نفسية متطرفة وأنه يدخل في التفاصيل كثيراً، واعتَبَر أسلوباً في الكتابة مسهباً ومستفيضاً ومتكرراً، ويفتقر إلى التوازن وضبط النفس والذوق السليم وأشخاص مثل سالتيكوف ششيدرين وتولستوي وميخايلوفسكي وغيرهم، انتقدوا شخصيّات الروايات التي كان دوستويفسكي يُمثّل بها نفسه.

الشهرة:

تُرجِمت أعمال دوستويفسكي لأكثر من ١٧٠ لغة حول العالم بما فيها العربية ويُعتَبر الأديب السوري سامي الدروبي من أشهر وأوائل من ترجَم أعماله الكاملة إلى العربية في ١٨ مُجلّد مع أكثر من ١١ ألف صفحة ورغم أنّه ترجَم أعمال دوستويفسكي من اللغة الفرنسية، إلّا أنها نالت شُهرة واسعة

واعتُبِرت أحد أفضل الترجمات، وقامت دار التقدم الروسية باعتماد ترجمة الدروبي في نُسخَتِهم المنشورة بدأ نشر أعمالِ دوستويفسكي المترجمة عام ١٩٨٥، واستمرّ إعادة النشر حتّى اليوم، فمثلاً رواية الجريمة والعقاب أُعيدَ نشرها لأكثر من ٦ مرّات بمختلف الأزمان الترجمة الفرنسية والألمانية والإيطالية عادة ما كانت تصدر بعد النسخة الأصلية بفترة وجيزة، بينما النُسخة الإنجليزية تأخّرت في الترجمة وكانت رديئة أيضاً أوّل ترجمةٍ إنجليزية لأعماله كانت من قِبَل ماري فون ثيلو في عام ١٨٨١، ولكن أول ترجمة عالية الجودة صدرت بين ١٩١٢ و ١٩٢٠ من قبل كونستانس جارنيت.

حوّلت أعمال دوستويفسكي لاحقاً لأفلامٍ ومسرحيّات في العديد من دول العالم. الأميرة فارفارا دميتريفنا أوبولنسكايا كانت أول من اقترح على دوستويفسكي ذلك، لم يرفض دوستويفسكي ولكنّه لم يرغب بهذا وقال مُعّلقاً:كل فنّ يتوافق مع أفكارة معيّنة، بحيث لا يمكن التعبير عن الأفكار ذاتها بطرق مختلفة في النهاية حوّلت بعض أعماله لوسائط أخرى، ولعل أبرزها أوبرا المقامر تأليف سيرغي بروكوفييف،وأوبرا من منزل الأموات تأليف ليوش ياناتشيك، والفيلم الياباني الأبله من إخراج أكيرا كوروساوا

كما صَدَر فيلمٌ مصري ١٩٧٤ مُقتَبس من الإخوة كارامازوف بعنوان الأخوة الأعداء من إخراج حسام الدين مصطفى وبطولة يحيى شاهين ونور الشريف ومحيي إسماعيل وحسين فهمي.

بعد الثورة الروسية عام ١٩١٧، مُنِعت بعض كتب دوستويفسكي وخضع أهم كتابان للرقابة: الشياطين، ومذكرات كاتب واعتبرت فلسفته في الشياطين، معاداة للرأسمالية ومعاداة للشيوعية والرجعية أيضاً ووفقاً للمؤرخ بوريس إليزاروف، ستالين قرأ الإخوة كارامازوف عدة مرات.

قال دوستويفسكي عن النساء:

- كانت تدرك أنها لن تصبح بالتزين سيدة وتدرك أن لكل إمرأة ثياباً تناسبها ، وذلك أمر ستظل تعجز عن فهمه ألوف بل مئات الألوف من النساء اللواتي يرضيهن أن تكون ثيابهن على الموضة وكفى.

- إنّ النساء لا يندمن ندماً كاملاً في يوم من الأيام.

- إن تناقضات كثيرة تجتمع لدى النساء.

- المرأةُ مخلوقةٌ لا يعرفُ إلا الشيطان ما في نفسها , حاولْ مرةً أن تعترفَ لها بانكَ أذنبتَ في حقها، وأن تقولَ لها: أنا مذنب، فاغفري لي، اغفري لي لتسمعنَّ منها عندئذٍ سيلاً من ملامات لن ترضى قطُ أن تغفرَ لك ببساطة، بل ستأخذُ تذلّكَ و تخفضكَ إلى الأرض، معدَّدةً جميعَ أخطائك، حتى تلكَ التي لم تقترفها لن تنسى شيئًا، وسوفَ تُضخمُ كلَّ شيء، وستخلقُ أخطاءً جديدةً عند الحاجة، وبعد ذلكَ فقط سترضى أن تغفرَ لك.

- وخيرُ النساءِ هنَّ اللواتي يغفرنَ على هذا النحو ولكنها ستفرغُ أولاً أعماقَ دروجِ أحقادها و تلقيها على رأسك تلكَ هي القسوةُ الكاسرة القابعةُ فيهنَّ جميعاً أعلمُ هذا كذلكَ خلِقن، من أولاهنَّ إلى آخرهنّ، هاته الملائكة اللواتي لا نستطيعُ أن نحيا بدونهن.

- انني لا أطيق النساء ، يكفي أن يسمعن نعيق غراب حتى يأخذن يسألن : ما هذا ، ولماذا ؟ .

- قد لاحظت في طبع النساء صفة عامة تميزهن، هي أن المرأة حين تخطئ، تؤثر أن تمحو خطأها بالمداراة والتدليل فيما بعد، على أن تعترف حالا وأن تعتذر عنه، رغم أنها تكون مقتنعة كل الاقتناع بأنها أخطأت.

- ان رغبتي في عدم الزواج تجعلهن ينعتنني بالمجنون ، أوليس من الجنون أن نأتي بأطفال في ظل هذه الظروف الحقيره.

قد أكون على خطأ، ولكنني أحسب أن في الإمكان معرفة رجل من ضحكته وحدها ؛ فإذا بدت لك ضحكته محببة ، فكن على يقين من أنه إنسان طيب كريم النفس.

- صدق الذين زعموا أن النصف الثاني من عمر الانسان إنما تحدده العادات التي يكون قد اكتسبها في النصف الأول.

- أنا أمرؤ مجنون ، هذا كل ما في الأمر ، إنه ليكفيني وأنا بغرفتي الصغيرة ، في الأعلى ، أن أتذكر أو أن أتخيّل حفيف ثوبكِ حتى أكون مُستعدّاً لعضّ أصبعي.

- لقد قيل لي حتى اليوم أحبب قريبك فأجبته : فماذا نجم عن ذلك ؟ قد نجم عنه أنني مزقت معطفي إلى جزئين فاصبحنا كلانا عاريين نصف عري ، عملاً بالمثل القائل : عندما يطارد المرء أرنبين في آن معا لا يدرك أيا منهما أما العلم فانه يقول : أحبب نفسك قبل الآخرين لأن العالم كله مرتكز على المنفعة الشخصية فعندما تحب نفسك فإنك تقوم بأعمالك كما ينبغي ويبقى معطفك كاملاً.

- لم أرَ نظرات الحُب الحقيقية إلا على عتبات المقابر ، والمستشفيات ، نحن أُناسٌ لا نتذكر من نحبهم إلا في النهاية.

- قد أمضيتُ حياتي كُلَّها في الدفاع عن أشياء لن أحظى بها أبدًا، أجلسُ الآن وحيدا، أُمشِّطُ شعرَ الخيبة وأُغنِّي لها.

- حين تستبد كآبة ثقيلة بالنفس التي صارت من المحن في ظلام ، تأتي الذكريات فتنعش النفس وتحييها، مثلها كمثل تلك القطرات من الندى التي تضعها رطوبة المساء على الأزهار بعد نهار خانق ، فتبعث الحياة في هذه الأوراق الحزينة التي كادت تمحوها الشمس المحرقة.

- أحبك لان عينيك ،حين تنظران، تحبان وتخاطبان من أعماق قلبك، وحين تخاطبني عيناك ادرك فورا كل ما تفكر فيه وكل ما يجول في خاطرك ، لذلك اريد ان اهب لحبك حياتي وحريتي.

اقتباسات من رائعة ديستوفيسكي ؛ الجريمة والعقاب:

ما أسعد الذين لا يملكون شيئًا يستحق أن يوصدوا عليه الأبواب بالأقفال.

لا يكفي أن يكون المرء ذكياً حتى يتصرف بذكاء.

إن هذه الاندفاعات المتطرفة تدل على أن أصحابها أناس مؤمنون صادقون، وتدل أيضًا أن الظروف ليست هي الظروف التي يجب توافرها.

إنني أحب معاشرة الشباب من يعرفهم يتعلم كثيرًا من الأشياء الجديدة.

إننا نستطيع عند اللزوم أن نخنق حتى إحساسنا الأخلاقي ! إننا نستطيع عند اللزوم أن نحمل إلى السوق كل شيء فنبيعه فيها : الحرية، الطمأنينة، وحتى راحة الضمير !.

يتفق للمرء أحيانًا أن يلقى أناسًا لا يعرفهم البتة فإذا هو يهتم بهم منذ أول نظرة قبل أن يبادلهم كلمة واحدة.

يُخيل إلي أن الرجال العظماء حقًا لا بد أن يشعروا على هذه الأرض بحزن عظيم.

ألست تمحو نصف جريمتك حين تقبل الألم ؟

ولكن المرء، عندما تعرّفه إلى شخص من الأشخاص، يكون طائشًا بعض الطيش، غبيًا بعض الغباوة، كما تعلم فهو يرى في ضوء شخصي، ولا يراها كما هي.

لكن الذكاء والغيرة شيئان اثنان لا يتعارضان، ومن هنا يأتي البلاء، ثم إنك من أجل أن تحكم على أحد الناس حكمًا حياديًا، يحسن بك أن تتخلص من بعض الآراء السابقة والعادات اليومية إزاء البشر والأشياء التي تحيط بك.

يقول مثل إنجليزي : مئة أرنب لا تصنع حصانًا، ومئة شبهة لا تصنع برهانًا.

إن الفتنة التي تشع من امرأة أخاذة فاضلة مثقفة يمكن أن تجمل حياتك، وأن تجذب إليك مودة الناس، وأن تحيطك بهالة من المهابة والسحر.

ما العقل إلا خادم الأهواء.

لئن لم يكن في هذا العالم شيء أصعب من الصدق والصراحة، فلا شيء في العالم أسهل من التملق فالصدق إذا اندس فيه عشر معشار من الكذب سرعان ما يخالطه نشاز فتقع فضيحة أما التملق فإنه إذا كان كذبًا من أوله إلى آخره، يظل سارًا وممتعًا، فالشخص يصغي إليه شاعرًا بلذة إن لم تكن لذة سامية فهي لذة على كل حال.

رب فعل يقوم به صاحبه على نحو رائع، ببراعة فائقة وحذق مدهش، ثم يبقى الباعث عليه والدافع إليه مَموهًا، لارتباطه بمشاعر مرضية شتى.

الباب الرابع

النهاية - مرضه بالصرع

ظهرت علامات الصرع على فيودور لأول مرة عندما عَلِم بوفاة والده في ١٦ يونيو ١٨٣٩ على الرغم من كونِ مصدر هذه المعلومة ابنته لوبوف التي يعتَبِرها الكثير من المؤرّخين غير ثقة، وقد عَمِل عليها فرويد فيما بعد توفّي والده بشكل أساسيّ من سكتةٍ أصابته، بيدَ أن جاره بافل كلوشانتسيف ادّعى أنه مات مقتولاً من قِبَل أقارِبه، وفي حال تم إثبات التهمة بأنّه قُتِل، كاد كلوشانتسيف ليستطيع شراء الأراضي التي تم إخلاؤها، وقد انتهت القضية بتكذيب الادّعاء في محاكمة في تولا، ولكن شقيقه أندريه دافع عن القصة على العموم، بعد وفاة والده أكمَل فيودور دراسته وتخرّج من الأكاديمية وأعطيَ لقب مهندس عسكري، مما خوّله الذهاب والعيش بعيداً عن

الأكاديمية فذهب وزار أخوه ميخائيل في رافل، وحضر المسرحيات وعروض الأوركسترا والباليه وخلال تلك الفترة، اثنين من أصدقاءه عرّفوه على المقامرة.

سنواته الأخيرة ووفاته ١٨٧٦ـ١٨٨١:

في أوائل عام ١٨٧٦، واصل دوستويفسكي العمل على مذكراته تضمن الكتاب العديد من المقالات والقصص القصيرة عن المجتمع والدين والسياسة والأخلاق باعت المجموعة أكثر من ضعف عدد نسخ كتبه السابقة وقد راسله عدد من القُرّاء أكثر من أي وقتٍ مضى، وزاره الناس من جميع الطبقات والأعمار والمهن، وزادت شهرته في كامل روسيا وبمساعدة من شقيق آنا، اشترت الأسرة منزلاً في ستارايا روسا في صيف عام ١٨٧٦، بدأ دوستويفسكي يُعاني من ضيق في التنفس مرة أخرى. وقد زار إمس للمرة الثالثة وأخبره الطبيب أنه قد يعيش لمدة ١٥ عاماً آخر في حال انتقل لبيئة صحيّة أكثر وعندما عاد إلى روسيا، طلب القيصر ألكسندر الثاني من دوستويفسكي زيارة قصره لمناقشة واستعراض مُذكّراته، كما طلب منه المكوث وتأديب وتعليم ابنَيه سيرجي وبولس.

زادت هذه الزيارة من معارِف فيودور، وكان ضيفاً معتاداً في العديد من الصالونات الأدبية في سانت بطرسبرج والتقى بالعديد من الناس الشهيرة، بما في ذلك الأميرة صوفيا تولستايا والشاعر ياكوف بولونسكي وسيرجي ويت والناشر والصحفي أليكسي سوفورين وأنتون روبنشتاين وإيليا ريبين.

تدهورت صحّة فيودور أكثر فأكثر، وفي مارس ١٨٧٧ أصابته أربعة نوبات صرع وبدلاً من العودة إلى إمس، زار مالي بريكول وهي مزرعة بالقرب من كورسك أثناء عودته إلى سان بطرسبرج لإنهاء مذكراته توقّف قليلاً في بلدة داروفوي المكان الذي نشأ فيه وفي ديسمبر من نفس العام، حضَر جنازة نيكراسوف وألقى خطبة التأبين الرئيسية، التي أكد فيها أن نيكراسوف كان أعظم شاعر روسي منذ ألكسندر بوشكين وميخائيل ليرمنتوف وقد عُيّن عضواً فخرياً في الأكاديمية الروسية للعلوم، وحصل على شهادة فخرية منها في فبراير ١٨٧٩ انتقلت العائلة لاحقاً إلى الشقة التي كتب دوستويفسكي فيها أعماله الأولى وفي تلك الفترة، انتخب عضواً في مجلس إدارة الجمعية السلافية الخيرية في سانت بطرسبرج وفي ذلك الصيف، انتخب عضواً في اللجنة الفخرية لرابطة ليترير وأرتيستيك إنترناتيونال وتضمّ أعضاءً مثل فكتور هوجو وإيفان تورجينيف وبول فون هايس وألفريد تنيسون وأنتوني ترولوب وهنري وادزورث لونجفيلو ورالف والدو إمرسون وليو تولستوي

وقد كانت زيارة دوستويفسكي الرابعة والأخيرة لـِ إمس في أوائل أغسطس١٨٧٩وشُخّص بأن لديه انسداداً رئوياً مزمناً، وقد اعتقد طبيبه إمكانية علاجه، ولكن لم يتم ذلك.

في ٣ فبراير ١٨٨٠، انتُخِب دوستويفسكي نائباً لرئيس الجمعية السلافية الخيرية، ودعي لإلقاء خطاب في الكشف عن نصب بوشكين التذكاري في موسكو، وهو الخطاب الذي ألقاه على شرف الشاعر الروسي ألكسندر بوشكين وقد ألقى خطابه في ٨ يونيو وكان له أثر عاطفي كبير لدى المستمعين بسبب أداءه، وقد قوبِلَ خطابه بتصفيق حار، وحتّى منافسه التقليدي تورجينيف أثنى عليه وقد نشر الكاتب كونستانتين ستانيوكوفيتش مقالاً بعنوان ذكرى بوشكين وخطاب دوستويفسكي في مجلة Delo وقال فيها:لغة دوستويفسكي في الخطاب لغةٌ خطابيّة حقيقيّة، يتكلّم بلهجة وثقة رسول مُرسَل، بلغةٍ عميقةٍ وصادقة، استطاع من خلالها إيصال المشاعر للمستمعين انتُقِدَ الخطاب لاحقاً من قِبَل عالم السياسة الليبرالية ألكسندر جرادوفسكي الذي وصف دوستويفسكي بأنه معبود الشعب، والمفكر المحافظ كونستانتين ليونتيف الذي قارن الخطاب بالاشتراكية اليوتوبية الفرنسية في مقاله حب عالمي أدى ذلك النقد الحاد لازدياد حالته سوءاً.

في ٢٦ يناير ١٨٨١، عانى فيودور تمزّقاً رئوياً حاداً، كان ذلك بعدَ يومٍ من القبض على جار دوستويفسكي الذي انتمى لمنظّمة نارودنايا فوليا التي قامت باغتيال القيصر ألكسندر الثاني وبعدَ نزفٍ ثانٍ، تواصلت زوجته آنا مع الأطباء الذين لم يفهموا علّته، ثُمّ تَبِع ذلك نزيف ثالث بوقت قصير.

جنازة دوستويفسكي:

فارَق فيودور دوستويفسكي الحياة في ٩ فبراير ١٨٨١ مُتأثّراً بمرضه وكانت آخر كلماته ما اقتَبسه من إنجيل متى الإصحاح ٣: ١٤-١٥وَلكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلاً: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: اسْمَحِ الآنَ، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرّ حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ وعندما توفّي وُضِعت جثّته على الطاولة وفقاً للعادات الروسيّة وقد دُفِنَ في مقبرة تيخفين في دير القديس ألكسندر نيفسكي في سانت بطرسبرج بالقرب من الشاعرين نيكولاي ميخائيلوفتش كرامزين وفاسيلي جوكوفسكي ومن غير الواضح تاريخيّاً كم شخصاً حضر جنازته ووفقاً لما ذكره أحد الصحفيين فإن أكثر من ١٠٠ ألف من المشيعين كانوا حاضرين، بينما يصف آخرون أن الحضور كان بمدى ٤٠ إلى ٥٠ ألف.

وقد نُقِشَت على شاهد قبره اقتباس من إنجيل يوحنا الإصحاح ١٢:٢٤:اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ.

التشريفات والتكريمات:

في عام ١٩٥٦، صدر طابع بريد أخضر مُخصّص لدوستويفسكي في الاتحاد السوفيتي وقد افتُتِح متحف دوستويفسكي في ١٢ نوفمبر ١٩٧١ في ذات الشقة التي كتب فيها رواياته الأولى والأخيرة وقد سُمّيت فوهة صدمية على كوكب عطارد باسمه تكريماً له عام ١٩٧٩، وكوكب صغير سُمّيَ باسمه من اكتشاف عالم الفلك الروسي ليودميلا كاراشكينا عام ١٩٨١بالإضافة لبرنامجٍ إذاعي يحمل اسمه منذ ١٩٩٧وظهر دوستويفسكي ليكون الشخصية الرئيسية في رواية جون ماكسويل كويتزي سيد بطرسبرج مشاهدوا برنامج التلفزيون باسم روسيا أدلوا بصوتهم ليكون دوستويفسكي تاسع أعظم شخصيّة في روسيا على مر العصور، ليكون وراء الكيميائي ديمتري مندليف وقبل إيفان الرابع وقد عُرِض مسلسل تلفزيوني يوثّق حياة دوستويفسكي عام ٢٠١١ من إخراج فلاديمير خوتيننكو في عام ٢٠١١ وحاز على جائزة جولدن إيجل.

هناك عدد من النصب التذكارية موجودة في مختلف المدن الروسية والأوروبية مثل موسكو وسانت بطرسبرج ونوفوسيبيرسك وأومسك وسيميبالاتينسك وكوسنتسك وداروفوي وستارايا روسا وليوبلينو وتالين ودرسدن وبادن بادن وفيسبادن وافتُتحت محطّة ميترو دوستويفسكي في سانت بطرسبرغ في ٣٠ ديسمبر ١٩٩١، ومحطة بنفس الاسم في موسكو في ١٩ يونيو ٢٠١٠ وذلك في الذكرى الـ٧٥ لافتتاح شبكة النقل في موسكو، وقد زينت محطة موسكو بجدران من قبل الفنان إيفان نيكولايف تصور مشاهد من أعمال دوستويفسكي.

مكانته:

يعتَبر دوستويفسكي اليوم من أعظم الأدباء الروس وأعظمهم في العالم وقد مدحه ألبرت أينشتاين عظمه على أمير الرياضيات كارل جاوس حيث قال:إذا سألتني بمن أنا مُهتَم حالياً فسأجيبُك بدوستويفسكي دوستويفسكي قدّم لي أكثَر ما قدّمه أيُ عالمٍ من قبل بما فيهم جاوس نفسه ووصفه بأنه كاتب ديني عظيم يستكشف سر الوجود الروحي كما وصفه فريدريك نيتشه

وقال:النفساني الوحيد الذي كان لديه شيء ليُعلّمني إياه، إن معرفتي به كان أعظم شيء حصل لي في حياتي واستمتع هرمان هيسه بقراءة أعماله واستمر فى قراءتها واحداً تلو الآخر بلا توقّف على حد تعبيره وكتب الروائي النرويجي كنوت همسون:لم يُحلّل أحد من قبل الهيكلية النفسية المعقدة للإنسان كما حللها دوستويفسكي. حسّه النفساني عظيم ومثالي.

في كتاب وليمة متنقلة لـِ إرنست همينجواي وصف دوستويفسكي:هناك أشياء يمكن تصديقها والإيمان بها [في الكتب] وأشياء لا، ولكن الحقيقة الحقيقية أنك ستتغير بمجرد القراءة لأعمالهم وأشاد جيمس جويس بالكتابة النثرية لدوستويفسكي:أكثَر كاتِب أثّر في الكتابة النثرية الحديثة ونقلها لتكون معاصرة للحاضر، كانت قوته المتفجرة التي هشّمت الرواية الفيكتورية وغيّرت مساراها وقد وصفه كافكا بأنه أحد أقربائه الفطريين، وكان تأثير دوستويفسكي على كافكا كبيراً ولا سيما الأخوة كارامازوف والجريمة والعقاب، وظهر هذا التأثر في رواية كافكا المحاكمة وقال سيجموند فرويد واصِفاً الأخوة كارامازوف :أجمل رواية وأكثرها روعة على الإطلاق الحركات الثقافية الحديثة كَالسريالية والوجودية والبيت نوّهوا لكون دوستويفسكي أحد المؤثّرين عليهم، واستُشهِدَ بكونِه رائداً للحركة الرمزية الروسية والوجودية والتعبيرية والتحليل النفسي.

روائع يجب قراءتها لفيودور دوستويفسكي:

يعتبر فيودور دوستويفسكي من أهم الأدباء في العالم وقد وصف من قبل العديد بأنه من أكثر الكتاب الموهوبين في العالم، صور لنا وغاص في أعماق النفس البشرية، شاركنا من خلال أعماله بالأسئلة الفلسفية الكبرى التي تتحدث عن الإيمان والغفران والأخلاق، والإخلاص والتي قام بتحليلها بطريقة ذكية جداً وبالطبع هذه المواضيع الفلسفية لا تزال حتى اليوم تدغدغ داخل العقل البشري، وبسبب هذه المواضيع وطريقة تحليله المميزة فإن كتاباته تعد جديرة بالقراءة ويجب على الجميع قراءتها.

كانت أولى الروايات التي قرأتها لدوستويفسكي الأبله والتي اعتبرها من أروع الروايات التي قدمها، بالإضافة إلى الأخوة كارامازوف الذي يتناول فيها مختلف المواضيع النفسية والاجتماعية والسياسية والدينية فكانت قوة كتاباته تكمن في صدقها ورغم الإطالة والإفاضة فى الأحاديث والحوارات فإنك لا تشعر بالملل وتتمنى أن لاتنتهي الرواية لتبدأ فى رحلة ممتعة صادقة مع هذا الكاتب الموهوب وتجعلك تصاب بالحزن لأن الرواية اقتربت من الانتهاء

وتشعر كما لو أنك تقرأ عن شخصيات حقيقية، يصور لنا ويصف من خلالها كيف أن الأفكار لديها القدرة على تغيير حياة الإنسان وهنا خمسة من أهم روايات دوستويفسكي التي يجب عليك أن تقرأها.

ملاحظات من تحت الأرض/ الإنسان الصرصار:

تعتبر هذه الرواية واحدة من أكثر الكتب فلسفة حيث يتطرق فيها إلى المعضلات الوجودية ويقوم من خلالها بفتح جدل مع الفلسفة الغربية الحديثة بطل الرواية يعاني مما سمي لاحقاً مرض القرن يحدثنا عن السخافة أو الخمول الخارج من ألمه الجسدي والعقلي إلى جانب بعض الأفكار ومعتقدات الشخص الذي تدور حوله القصة مثل أن التقدم لا يستحق أي جهد وهذه الفكرة طرحت فيما بعد عند العديد من الكتاب والفلاسفة مثل جان بول سارتر وايتالو سفيفو، ويعتبرها البعض أول رواية في الفلسفة الوجودية.

الغايات يا سادة أن لا يفعل المرء شيئاً البتة إن القعود عن الفعل والخلود إلى التأمل مُفضلان على أي شيء آخر.

الجريمة والعقاب:

نشرت في عام ١٨٦٦ وهي ثاني رواياته الكاملة كتبها بعد عودته من المنفى في سيبيريا، يكشف لنا فيها مفاهيم الجريمة والخلاص من خلال المعاناة، وتركز على الألم النفسي والمعضلات الأخلاقية التي يعاني منها راسكولينكوف وهو طالب فقير يعيش في غرفة صغيرة يرفض المساعدة من أي أحد.

يخطط وينفذ جريمة قتل بدم بارد لامرأة عديمة الضمير تقرض المال، وفي محاولة للدفاع عن أفعاله يقول أن بأموال المقرضة يمكن القيام بالأعمال الصالحة لمواجهة الجريمة ونتخلص من الحشرات التي لا قيمة لها ويقارن نفسه بنابليون ويشارك اعتقاده بأن القتل مسموح لتحقيق هدف أسمى. هنالك أشخاص نجهلهم تماماً، ولكن عندما نلتقي بهم نشعر بشيء يدفعنا إلى التقرب منهم حتى قبل أن نبادلهم حديثاً.

الأبله:

هذه الرواية من عام ١٨٦٩ وتعد واحدة من أهم أعمال دوستويفسكي تصور لنا الفروق الدقيقة في الحياة الاجتماعية لأحد النبلاء الشباب الروس الذي يدعى ميشكين الذي عاد إلى سانت بطرسبرج بعد أن كان يعيش في مصحة في سويسرا.

وكما يوحي العنوان بطل القصة هو رجل ساذج واثق أكثر من اللازم يتكلم دون أن يعير اهتمام لأحد يملك طيبة طفولية، ومثالي لدرجة كبيرة.

يحاول قدر المستطاع أن يحقق السعادة لأعدائه وأصدقائه، مما يؤدي ذلك به إلى الكثير من المتاعب نظراً لأنه يتعامل مع العديد من الشخصيات منها الماكر ومنها الفاسد ومنها الأناني.

اعلموا أنَّ هناك حدًا للغمِّ والقهرِ والنكَدِ الذي يُحدثهُ في نفسِ الإنسانِ شعورهُ بأنهُ لا شيء، وبأنهُ عاجزٌ، فإذا تجاوزَ الإنسانُ ذلك الحَد غَرِقَ في لذّةٍ خارقة.

الأخوة كارامازوف:

هي آخر روايات دوستويفسكي في عام ١٨٨٠ وفي رأي العديد أنها أكبر وأعقد رواية له، أمضى في كتابتها عامين تقريباً، وتوفي بعد أقل من أربعة أشعر من تاريخ نشرها، وهي رحلة رائعة يتحدث فيها عن مأساة أسرة كارامازوف وتناقش العديد من المواضيع المختلفة منها الأخلاق والإيمان ويبحر في تصوير النفس البشرية.

وفي نفس الوقت الرواية هي قصة جريمة رائعة يحاول فيها القارئ أن يكتشف من قتل الأب لأبنائه الثلاثة حيث ترمز كل شخصية منهم إلى فكرة معينة العقل والجسد والروح.

كان لهذه الرواية تأثير عميق على العديد من الكتاب والفلاسفة من بينهم ألبرت أينشتاين، لودفيج فيتجنشتاين، مارتن هايدجر، كورماك مكارثي، وكورت فونيجوت، وسيجموند فرويد، فرانز كافكا.

إن من يكذب على نفسه، ويرضى أن تنطلي عليه أكاذيبه، يصل من ذلك إلى أن يصبح عاجزاً عن رؤية الحقيقة في أيّ موضع، فلا يعود يراها لا في نفسه ولا فيما حوله، وهو ينتهي أخيراً، لهذا السبب، إلى فقد احترامه لنفسه واحترامه لغيره.

فهرس الكتاب